# الفصل الثالث عشر

# الشخصية الإنسانية

# Personality

obeikandl.com

# الشخصية الإنسانية

وبعد أن انتهينا من دراسة الدوافع الإنسانية والنمو النفسي بمظاهره المختلفة ابتداء من الطفل حتى الرشد ، يجدر بنا أن نتحدث عن الشخصية باعتبارها الجوهرة المميز للفرد عن بقية الأفراد الآخرين ، وموضوع الشخصية من الموضوعات الهامة في علم النفس ، حتي أن المؤلفات القديمة في علم النفس كانت تختتم عادة بفصل عن الشخصية ، أما اليوم فقد أصبح هذا المجال مجال تخصص لكثير من الباحثين في علم النفس ، كما وضعت فيه العديد من المؤلفات .

**الشخصية :**

ولفظ الشخصية من الألفاظ الدراجة علي لسان معظم الناس فكثيرا ما نسمع شخصا يصف شخصا آخر بقوله : (أنه شخصية جذابة أو شخصية غير محببة ، شخصية قوية أو شخصية ضعيفة أو لا شخصية له أو له شخصيات متعددة ) . ولشيوع اللفظ علي ألسنة الناس وفي الكتب والمجلات ، والصحف اليومية ، أصبح يبدو لنا بسيطا ومفهوما لا يحتاج إلي تعريف أو إيضاح ، وقد يكون ذلك صحيحا إلي حد ما من الناحية العملية ، فقلما يسألك إنسان عما تعنيه بقولك شخصية ، لكن الأمر يختلف اختلافا كبيرا إذا انتقلنا إلي مجال العلم ، فإذا سالت شخصا إن يحدد لك لفظ الشخصية تحديدا دقيقا فإنك تصل إلي تعريفات مختلفة كثيرة للفظ الشخصية ، تختلف من شخص إلي آخر ومن باحث إلي آخر، ولذلك كان من الضروري أن نحدد مدلول اللفظ إذ هو في الواقع غير محدد في أذهان الكثيرين ، علي عكس ما يبدو لمعظم الناس .

لقد وضعت تعريفات كثيرة للشخصية ، حتى أن أحد علماء نفس الشخصية ويدعى "جوردون البورت " أورد في كتابه " الشخصية " والذي نشره عام ١٩٣٧ما يقرب من خمسين تعريفا للشخصية ، بعضها فلسفي ، وبعضها ديني ، وبعضها اجتماعي ، وبعضها نفسي .

ويذهب غالبية الباحثين إلي أن اللفظ " الشخصية " (♣) أو باللغة الانجليزية مستمد من اللفظ " برسونا " في اللاتينية القديمة ويتفق الجميع علي أنه كان يعني ؟ القناع ؟ ، ولقد ارتبط هذا اللفظ بالمسرح اليوناني القديم ، إذ اعتاد ممثلو اليونان والرومان في العصور القديمة ارتداء أقنعة علي وجوههم لكي يعطوا انطباعا عن الدور الذي يقومون به وفي الوقت نفسه لكي يجعلوا من الصعب التعرف علي الشخصيات التي تقوم بهذا الدور ، فالشخصية كان ينظر إليها من ناحية ما يعطيه قناع الممثل من انطباعات ، أو من ناحية كونها غطاء يختفي وراءه الشخص الحقيقي . ويتفق هذا القول مع التعريفات التي تنظر إلي الشخصية من ناحية الأثر الخارجي الذي يحدثه الفرد في الآخرين أكثر مما ينصب علي ما هناك من تنظيم داخلي في الفرد ، ومع مرور الزمن أطلق لفظ " برسونا " علي الممثل نفسه أحيانا ، وعلي الأشخاص عامة

---

(♣) برسونا Persona ، شخصية Personality

يشتق مصطلح الشخصية من الفعل شخص بمعنى برز وشاخص ، بمعنى بارز ، والشخص هو التل أو ما برز من الأرض ، والشخوص هو البروز ، ويقال فلان يشخص ببصره أي يمد رأسه إلى الأمام ، ويبرز عينيه ، وعلى ذلك فالشخصية هي ما يبرزه الإنسان من صفات وسمات نفسية جميلة أو قبيحة ، ويتميز عن غير من البشر في ضوء هذه الصفات والسمات النفسية .

أحيانا أخرى ، وربما كان ذلك علي أساس أن " الدنيا مسرح كبير ، وأن الناس جميعا ليسوا سوى ممثلين علي مسرح الحياة .

ولعل أقوى المؤثرات في استمرار وبقاء فكرة "القناع " هذه عبر الأجيال القديمة ، فلسفة أفلاطون التي تمثل أصدق تمثيل الفلسفة المثالية، والتي ما زالت قائمة حني الآن ، إذ لا يزال البعض يعتقد أن الشخصية هي مجرد الواجهة التي يفترض أن يكمن رواءها جوهر ما .

ولقد اكتسب لفظ الشخصية في اللغة الدراجة معاني كثيرة مختلفة ، ولعل أكثرها شيوعا هي تلك التي تنظر إلي الشخصية من حيث قدرة الفرد علي التأثير في الآخرين ، وذلك علي نحو ما يتضح مثلا حين نتحدث عن شخص ما بأنه " قوى الشخصية " ، ونقصد بذلك أن له تأثيرا واضحا علي الأشخاص الآخرين الذين يتصل بهم ، وكان من الطبيعي أن يرتبط بمثل هذه التعريفات بعض الصفات الأخرى كالعدوانية مثلا ، فالشخصية القوية قد تتضمن أن لدى صاحبها من القوة ما يجعله يفرض نفسه علي الآخرين ، بينما الشخصية الضعيفة يسهل التأثير عليها ، أو بعبارة أخرى أنها تفتقر إلي نواحي القوة التي تمكنها من فرض تأثيرها علي الآخرين .

وإلي جانب هذه التعريفات الدارجة هناك تعريفات أخرى علمية ، ويجدر بنا أن نشير إلي بعض هذه التعريفات التي قدمها بعض علماء النفس ، فقد عرفها البعض بأنها "مجموع ما لدى الفرد من استعدادات ودوافع ونزعات وشهوات وغرائز فطرية وبيولوجية ، كذلك ما لديه من نزعات واستعدادات مكتسبة " ، علي حين عرفها البعض الأخر بأنه

" أسلوب التوافق العادي الذي يتخذه الفرد بين دوافعه الذاتية ومطالبه البيئية " .

ولعل انسب التعاريف للشخصية هو تعريف جوردون أولبروت الذي يرى " أن الشخصية هي ذلك التنظيم الديناميكي الذي يكمن داخل الفرد ، والذي ينظم كل الأجهزة النفسية والجسمية التي تحدد للفرد طابعة الخاص في السلوك والتفكير " ، وترجع أهمية هذا التعريف الأخير إلي أنه يركز حول ناحية التنظيم الداخلي لأجهزة الفرد النفسية والجسمية أكثر من اهتمامه بالمظاهر الخارجية السطحية كما يهتم بالطابع الخاص المميز للفرد ، وكذلك تكيفه مع البيئة المحيطة به .

العوامل المحددة للشخصية :

يذهب البعض إلي أن كل إنسان هو في بعض نواحيه :

يشبه كل الناس .

يشبه بعض الناس .

لا يشبه أي إنسان .

فهو أولا : يشبه كل الناس من ناحية أن كل فرد منا له نفس التكوين العضوي والبيولوجي الذي للآخرين ، فكل فرد منا لديه نفس الأجهزة العضوية المختلفة التي يشترك فيها الناس جميعا ، كالجهاز الهضمي والتنفسي والغددي وغيرها من الأجهزة كما أن كل فرد منا يولد ويتعلم أن يتحرك في البيئة التي يعيش فيها ، ويكتشف هذه البيئة ويحمي نفسه من التغيرات الطبيعية التي قد يتعرض إليها ، كما أن كل فرد منا يحسن

بضغط الحاجات الأولية ويتعلم طرق خفض هذه الحاجات ، وهو يقوم بهذا كله - منذ ولادته حتى وفاته - كعضو في مجتمع ، وهو إذا كان يشارك النوع الحيواني في بعض النواحي ألا أن له حاجاته الخاصة ، فهو يشارك أفراد جنسه في اعتدال القامة ، وفي نمو وتطور جهازه العصبي الذي يسمح له بالقيام بكثير من العمليات العقلية المقدمة كالكلام والتعليم علي مستوى عال ، ثم هو أيضا يشبه كل الناس من حيث هو كائن حي اجتماعي عليه أن يتكيف مع الجماعة التي يعيش فيها ويخضع لشروط التفاعل والعلاقات المتبادلة مع الآخرين في المجتمع ، كما أنه يشبههم جميعا من حيث أنه يخضع مثلهم لمتطلبات الثقافة ، فكل إنسان يولد ضعيفا لا حول له ولا قوة ويعيش في عالم ملئ بالصعوبات التي قد تعرض حياته للخطر ، ولا شك أن النوع الإنساني كان من الممكن أن يتعرض للانقراض ما لم تكن هذه الحياة الاجتماعية ، فالتكيف الإنساني للبيئة الخارجية بتوقف علي هذا السند المتبادل الذي هو الحياة الاجتماعية ، كما يتوقف أيضا علي الثقافة .

ثانيا : أما أنه يشبه بعض الناس ، فهذا ما نلحظه مثلا في تشابه بعض سمات شخصية الفرد مع أعضاء بعض الجماعات أو مع أعضاء معينين من جماعات معينة ، فالبحارة مثلا - بصرف النظر عن المجتمعات التي ينتمون إليها - يميلون إلي أن تكون بينهم صفات مشتركة ، ونفس القول يصدق علي بدو الصحراء ، كما أن رجال الفكر والرياضة بينهم في الأغلب سمات أو صفات مشتركة .

وبالمثل نحن حين نتحدث عن أنماط معينة من الناس ، إنما نعني ضمنا أن هذا الفرد يشبه مجموعة معينة من الناس تتصف بصفات

خاصة ، وذلك علي نحو ما نتحدث عن شخص معين بأنه من النمط البدين أو النمط الهزيل أو النمط الرياضي أو من النمط المنطوي أو المنبسط ، إنما نشير في هذه الحالة إلي تشابهه مع بعض الناس في صفات جسمية أو نفسية معينة .

ثالثا : أما أنه لا يشبه أي إنسان ، فهذا ما يتضح من أن لكل فرد منا طريقته وأسلوبه الخاص في الإدراك والشعور والسلوك ، والذي يطبعه الطابع مميز لا يتكرر لدى فرد أخر وبنفس الصورة ، وقد يرجع هذا من ناحية إلي هذا التجمع الفريد للارث البيولوجي الذي يرثه الفرد من الأبوين ، كما قد يرجع أيضا إلي التفاعلات العديدة المتتابعة بين الإنسان النامي والمواقف البيئية المختلفة التي يمر بها منذ الولادة وما بعدها ، كما أن الخبرات المختلفة التي يتعرض لها كل فرد منا قد تسهم إلي حد بعيد في هذا الاختلاف الظاهر في شخصية كل فرد ، فهذا طفل عاني في طفولته الحرمان والجوع ، وذاك أخر فقد أمه في الوقت الذي هو في أمس الحاجة إلي حبها وحنانها وقامت علي رعايته جدته المسنة، وذالك ثال عاني من قسوة معاملة زوجة الأب له ... ورغم أن شخصيات الأطفال الذين يمرون بمثل هذه الخبرات قد تتشابه في بعض نواحيها ، إلا أن شخصية كل فرد منهم تختلف اختلافا واضحا عن شخصية الآخر بسبب أن الموقف المؤلم يكون له تأثير فريد ومتميزة كذلك ، وهكذا يمكن القول بأن كل شخصية هي صورة فريدة لا يمكن أن تتكرر ، ولا يمكن أن يكون هناك إنسان يشبه تمام الشبه أي إنسان أخر ، وقد أصبحت هذه الناحية حقيقة بالغة الوضوح لا تحتاج منا إلي

مزيد من البيان والتفصيل ، فالفروق الفردية بين الناس سواء من الناحية الجسمية أو العقلية أو لمزاجية أصبحت حقيقة مسلما بها .

وإذا انتقلنا الآن إلي دراسة العوامل المحددة للشخصية بشيء من الإيجاز ، نجد أن بعض علماء نفس الشخصية قد حدد هذه العوامل بأربعة عوامل :

هي :

(١) المحددات التكوينية ( البيولوجية ) .

(٢) محددات عضوية الجماعة التي ينشأ فيها الفرد ويتعامل معها ( كالأسرة مثلا ) .

(٣) محددات الدور الذي يقوم به الفرد

(٤) محددات الموقف .

وهذا التصنيف يساعد - في نظر هؤلاء - علي معرفة من أي النواحي يشبه الفرد كل الناس ، أو بعض الناس ، أو لا يشبه أي إنسان علي الإطلاق ، كما أنه يساعدنا أيضا علي توضيح المحددات المختلفة للشخصية ، وسوف نشير باختصار إلي كل محدد منها :

أولا : المحددات التكوينية ( البيولوجية ) :

يميل بعض علماء النفس إلي توكيد أن " الطبيعة الإنسانية " اجتماعية في أساسها ، أما الأساس البيولوجي للسلوك فهو يمثل القدر المشترك بين الإنسان والحيوانات الأخرى ، ومع ذلك يجب أن نؤكد منذ البداية أن التأثيرات الاجتماعية يمكن أن تحدث أثرها في الكائن الحي ،

مثلما تحدث الاختلافات في التكوين البيولوجي والجسمي للفرد ، اختلافات في استجابته للظروف الاجتماعية التي يعيش فيها ، ولذلك لا يمكن أن نفعل في دراستنا الشخصية أهمية الجوانب البيولوجية .

وتلعب الوراثة دورا هاما كمحدد من المحددات التكوينية الهامة بالنسبة للفرد ، وكذلك بعض الأجهزة العضوية كالجهاز العصبي المركز والجهاز العصبي المستقل ، وكذلك التكوين الغددي للفرد ، ويمكن أن نشير إلي كل منها علي حدة .

**١ـ الوراثة :**

الكائنات الإنسانية ـ شأنها في ذلك شأن غيرها من الكائنات الحية ـ تخضع لقوانين الوراثة ، أما ما هي هذه القوانين ، وإلي أي مدى تحدث أثرها في النواحي الجسمية والعقلية والمزاجية ، فهذا ما بدأ العلم يكشف عن بعض خفاياه منذ أيام " تشارلز دارون " " وجريجور مندل " وموضوع الوراثة كله موضوع عجيب علي نحو ما يقول " دارون " ، وقد يظهر الكثير من الخلط بين الباحثين في الدور الذي تقوم به الوراثة في تحديد السلوك ، ولعل مرجع ذلك هو افتقارهم إلي الكثير من الحقائق المناسبة في هذا المجال ، والجدير بالذكر أن بعض علماء النفس يركزون تركيزا كبيرا علي الدور الذي تقوم به الوراثة في تحديد السلوك والشخصية ، بل يجعلون منها العامل الأساسي ، ولمثل هذا الرأي يذهب بعض أنصار الوراثة في قولهم : " أن الوراثة ـ وليست البيئة ـ هي الصانع الرئيس للإنسان ، وإن كل ما يطرأ علي العالم من تعاسة وهناء لا يرد إلي البيئة .

فالفروق التي نوجد بين الناس إنما ترجع إلي الاختلافات في الخلايا الجرثومية التي نولد مزودين بها " .

غير أن أنصار البيئة يرفضون مثل هذا التوكيد القاطع علي العوامل الوراثية وحدها ، بل يذهبون إلي أن البيئة تلعب دورا لا يقل أهمية عن العامل الوراثي أن لم يزد عليه ، ولقد عبر وطسن عن هذا الرأي في عبارة مشهورة له : " أعطوني مجموعة من الأطفال الأصحاء سليمي البنية ، وأنا كفيل أن أخرج منهم الطبيب والفنان والتاجر ورئيس العمل ، بل والشحاذ واللص ، بصرف النظر عن استعداداهم وميولهم وقدراتهم وأعمال أبائهم وأصولهم الوراثية " .

غير أن الغالبية العظمي من علماء النفس اليوم لأي ينكرون أثر كل من العوامل الوراثية والعوامل البيئية في تحديد الشخصية ، فمما لا شك فيه أن أية سمة من السمات ، جسمية كانت أو عقلية أو مزاجية ،لا يمكن أن تعزي إلي العوامل الوراثية وحدها أو إلي العوامل البيئة وحدها ، وإنما إلي تفاعل هذين العاملين معا ، ولذا يذهب هؤلاء إلي القول بأن الشخصية هي محصلة العوامل الوراثية والعوامل البيئية معا، والجدير بالشارة هنا أن بيئة الفرد التي نعنيها تبدأ منذ اللحظة الأولي للحياة داخل الرحم ، وليست قاصرة فحسب - علي نحو ما يتوهم البعض - علي البيئة الخارجية بعد الولادة .

بعض الأساليب التي استخدمت في دراسة العوامل الوراثية :

أ - شجرة العائلة : لقد لجأ الباحثون مثل جالتون ويترمان إلي عدة طرق لدراسة الوراثة عند الإنسان ، أولها الملاحظة المباشرة للعائلة ،

وقديما كانت الدراسات التي من هذا النوع تشمل أعداداً كبيرة من الأقارب ، ولكن اليوم لا يذهبون إلي مثل ذلك، وإنما من الممكن الوصول إلي معلومات مفيدة من دراسة إعداد قليلة من أفراد الأسرة وإخضاعهم للملاحظة الدقيقة .

(ب ) التوائم : ومن أهم الدراسات وأمتعها - وإن لم تك دائما قاطعة ـ تلك التي تجرى علي التوائم ، وقد قام الباحثون بدراسات عديدة علي التوائم المتشابهة والتوائم غير المتشابهة والإخوة العادين ، ووجدوا أن التشابه في الصفات العقلية والجسمية والمزاجية يكون أكثر لدي التوائم المتشابهة منه لدي التوائم غير المتشابهة ولدى الأخوة العادين .

(ج) وراثة بعض السمات العادية ولقد درس الباحثون مجموعة من السمات العادية كالذكاء والمهارات والاستعدادات الخاصة ومع ظهور اختبارات الذكاء واختبارات الاستعدادات والمهارات ، وتقدم الأساليب الإحصائية المختلفة ، أصبح في ميسور العلماء اليوم الوصول إلي تقديرات كمية أكثر دقة ، فمثلا وجد الباحثون أن درجة الارتباط بين ذكاء التوائم المتشابهة أعلي منها لدى التوائم غير المتشابهة ، وهذه أعلي منه لدى الأخوة العاديين ، وبالإضافة إلي الذكاء ، قام الباحثون أيضا بدراسة بعض القدرات الخاصة التي تظهر لدى بعض الأسر ، ومن ذلك مثلا القدرة الموسيقية ، التي تظهر في بعض الأحيان في أجيال متعددة لدى بعض الأسر .

(د) وراثة الانحراف الاجتماعي لدى بعض الأسر :

ومن بين الأسر درست علي نطاق واسع وتتبعها العلماء جيلا بعد جيل ، أسرة اتسمت بوارثة بعض مظاهر الانجراف والضعف العقلي ، وتعرف هذه الأسرة باسم ( أسرة الكاليكاك ) ، وتنسب هذه الأسرة إلي الجد الأكبر ، وكان اسمه ( مارتن كاليكاك ) ، وكان جنديا في جيش التحرير بأمريكا ، وقد اتصل هذا الرجل بفتاة ضعيفة العقل ، وأنجب منها طفلا خرج ضعيف العقل ، وبعد الحرب تزوج من فتاة من أسرة عادية وأنجب منها طفلا كان عاديا ، وقد تتبع الباحثون سلالة كل فرع لما يقرب من مائتي عام وقد لاحظوا أن الفرع الذي ينتمي إلي الجد الضعيف العقل ، لم يكن به من العادين سو عدد قليل جدا ، والباقون كانوا من ضعاف العقول أو المجرمين أو الخارجين علي القانون ، أما الفرع الأخر فلم يكن به من الشواذ سوى عدد قليل جدا ، علي حين أن الباقين كانوا من قادة المجتمع وساسته ورؤسائه ، غير أن مثل هذه الدراسات جميعها يجب أن تؤخذ نتائجها بشيء كثير من الحذر ، إذ أنها تستبعد أثر العوامل البيئية التي يعيش فيها الفرد ، فالفرع الأول الذي ينتمي إلي الإجرام والضعف العقلي ، أكبر الظن أن البيئة التي نشأ فيها لم يكن تسمح له بالتقدم في مجال الحياة أو التعلم والترقي ، بل كانت بيئة يسودها الإجرام نتيجة ضعف المستوى الاقتصادي ، بينما الفرع الثاني كانت فرص التعلم أمام أفراده متاحة ، وكانت فرص الترقي والتقدم أكثر بالنسبة له نتيجة ارتفاع المستوى الاقتصادي والاجتماعي .

ولذا يمكن أن نختتم حديثنا عن الوراثة بقولنا : حقيقة إن لكل فرد منا نمطا وراثيا فريدا ، أعني أساس وراثيا لهذه الشخصية الفريدة التي يتميز بها كل فرد منا ، والنظرة الحديثة فيما يتعلق بالتأثيرات الوراثية

هي أنها يمكن أن تحدد الصفات العامة أو الصفات المميزة للفرد ، فنجن جميعا بشر بحكم وراثتنا ، ونحن بيض أو سود ، طوال القامة أو قصار القامة بحكم وراثتنا كما أن لنا وجوهنا وأصواتنا وملامحنا الأخرى الميزة أيضا بحكم محدداتنا الوراثية ، غير أن مثل هذا القول لا ينفي الدور الهام الذي تقوم به البيئة ، فحتى التوائم المتشابهة يوجد بينها بعض الفروق التي ترجع إلي التعلم والتأثيرات الاجتماعية الأخرى ، وكلما أصبحت الوظائف أكثر تعقيدا، زادت الفروق التي يمكن أن تعزي إلي البيئة ، فالنزعة إلي التأثر السريع بالخوف والقلق وعدد مرات الانسحاب من المواقف العادية يمكن أن تتأثر تأثرا عميقا بواسطة التعلم والاكتساب من البيئة .

٢ـ الأجهزة العضوية وعلاقة وظائفها بالشخصية :

وللثدييات جهاز عصبي مركزي يتكون أساسا من مسالك عصبية طويلة تصل ما بين كل أجزاء الجسم والمخ ، ووظيفته كما نعلم هي القيام بالعمليات العقلية العليا كالتفكير والتذكر والإدراك وغيرها ، وبالإضافة إلي الجهاز العصبي الحركي ، هناك جهاز آخر يعرف باسم الجهاز العصبي المستقل يختص بالأنشطة اللاإرادية اللازمة لاستمرار حياة الكائن الحي ، فهو مثلا الذي ينظم دقات القلب ويجعلنا نستمر في التنفس ونحن نيام وهو الذي يتحكم في درجة توصيل الجلد للكهرباء فيزيدها في الاضطراب أو الانفعال أو الخطر ويقللها في حالة السكينة .

وبسبب هذه العلاقة الوثيقة بين نشاط الجهاز العصبي المستقل وبين حالات الانفعالية المختلة التي تطرأ علي الكائن الحي أخذ علماء النفس

منذ سنوات بعيدة يبحثون عن الروابط بين الاستجابات التلقائية والسمات المزاجية للفرد ، ولقد لا حظ بعض علماء النفس وجود علاقة قوية بين استثارة الدافع لدى الفرد وبين قدرته علي التحكم في تفريغ الطاقة أو النشاط المنبعث عن هذا الدافع فهناك أناس تكون استثاره الدافع عندهم قوية وسريعة ، بينما لا يستطيعون التحكم في سلوكهم وتصرفاتهم وأمثال هؤلاء الناس يكونون من النوع المندفع ، وتكون قدرتهم علي التوفيق مع البيئة وضبط النفس ضعيفة ، كما يسهل عليهم الانزلاق إلي ارتكاب الجريمة وبالمثل يمكن أن نجد أناسا تكون استثارة الدافع عنده ضعيفة ، أي لا يستثارون بسهولة ، علي حين تكون قدرتهم علي التحكم في السلوك قوية .

ومن ثم يبدو هؤلاء كما لو كانوا لا يريدون القيام بعمل أي شيء ، أي كما لو كانوا متبلدين ، وهناك نوع ثالث تكون استثارة الدافع عنده قوية كما أن قدرته علي التحكم في السلوك قوية كذلك ، هذا النوع أثر نجاح ا لأن الفرد يبذل جهدا وطاقة دون أن تذهب هذه الطاقة أو هذا الجهد هباء .

وبالإضافة إلي العوامل الوراثية والأجهزة العضوية هناك مكون ثالث يمكن أن يندرج تحت المحددات البيولوجية ، وله تأثير كذلك علي الشخصية نعني به التكوين الغددي للفرد ، فلقد كشفت دراسة الأشخاص الذين يعانون من اختلال في إفرازات الغدد عن أدلة قاطعة علي وجود تأثيرات واضحة الهرمونات في الشخصية ، وقد أخذت دراسة العلاقة بين وظيفة الغدد والشخصية صورا متعددة كان أقدمها الملاحظات الإكلينيكية لأشخاص يعانون من نقص في إفرازات الغدد ، ثم أتت بعد

ذلك الدراسات التي أجريت علي أشخاص أزيلت بعض الغدد عندهم لأسباب طبية أو مرضية ، وأخيرا أتت الدراسات التجريبية التي تجرى علي أشخاص يحقنون بهرمونات تحت ظروف تجريبية دقيقة مضبوطة ثم ملاحظة ما يطرأ عليهم من تغيرات ، وكانت معظم هذه التجارب تجرى في البداية علي الحيوانات ، وكانت الدراسة تنصب علي إزالة غدد معينة دون أن تكون هناك أسباب مرضية بالطبع ، وقد أمكن الوصول إلي حقائق علي جانب كبير من الدقة والأهمية تتصل بطبيعة النتائج المتوقعة عند وجود زيادة أو نقصان في هرمون غدة بالذات ..

ويمكن أن نشير إلي بعض الدراسات التي أجريت علي بعض الغدد، والتي وصلت إلي نتائج هامة ، من ذلك مثلا ما أجرى علي الغدد الدرقية ، وتوجد في مقدمة الجزء الأسفل من الرقبة ، وظيفتها تخزين مادة اليود وإفراز هرمون الثيروكسين الذي يؤثر في عمليات النمو وعمليات الهدم والبناء كما أنها تؤثر وتتأثر بإفراز غيرها من الغدد لصماء ، وخاصة الغدد النخامية ( في قاع المخ) ، ونجد أن الاضطرابات التي تصيب وظيفة هذه الدرقية إما أن تكون بنقص إفراز هذه الغدة أو زيادته ، فالأشخاص الذين يعانون من نقص إفراز الغدة الدرقية يكونون أميل إلي الخمول والبلادة والغباء وكأنهم في سبات عميق ، كما أنهم من النوع المكتئب المتبرم الكثير الشك ، أما الأشخاص الذين يعانون من زيادة إفراز الغدة الدرقية ، فيلاحظ عليهم الميل إلي زيادة التوتر العصبي وشدة الاستثارة والقلق ، كما تزداد لديهم شدة استجابة الجهاز العصبي المستقل ، فيكون الفرد زائد النشاط لا يستقر له قرار ويكاد يكون في حالة توتر مستمر .

وباختصار يمكن القول أن لإفرازات الغدد وما تتعرض له من نقص وزيادة تأثيرا واضحا علي الشخصية .

وبذلك نكون قد أوضحنا المحدد الأول من محددات الشخصية وهو المحدد التكويني أو البيولوجي وما ينطوي تحته من مؤثرات وهي الوراثة والأجهزة العصبية والأجهزة الغددية .

**ثانيا ـ محددات عضوية الجماعة .**

وذا كانت التكوينات البيولوجية للفرد تحدد إلي درجة كبيرة شخصية الفرد ، وتجعلنا نقول بوجود فروق فردية واضحة ملحوظة في النواحي العقلية والجنسية والمزاجية تؤثر تأثيرا واضحا في نمو شخصية الفرد ، ألا أن الشخصية ليست شيئا ثابتا لا يقبل التغير منذ الولادة ، فمن الخصائص الأساسية للإنسان مرونته وقدرته علي التغير نتيجة ما يمر به من منجزات وتعلم ، وإذا كان سلوك الحيوان يتحدد إلي درجة كبيرة بغرائزه ، بحيث لا نحتاج إلي معرفة الشيء الكثير عن تاريخ حياة الحيوان من أجل التنبؤ بسلوكه ، فإن الأمر يختلف بالنسبة للإنسان حيث نحتاج إلي معرفة تفصيلة عن خبرات الفرد الماضية وبيئته وثقافته التي نشأ فيها من أجل الحكم علي سلوكه ونمو شخصيته، وبدون هذه المعرفة يتعذر علينا فهم خصائص شخصية الفرد .

وهكذا يتعين علينا دراسة النواحي التالية من حيث أثر كل منها في نمو شخصية الفرد .

١ـ الثقافة : وليس من شك أن للثقافة التي يعيش فيها الفرد وينمو خلالها أثرا واضحا في تكوين شخصيته ، فالاسترالي المولد تختلف

شخصيته عن شخصية الأمريكي ، وشخصية أبناء فرنسا تختلف عن شخصية المستوطنين الفرنسيين في كندا مثلا ، وحتي الاختلافات في الثقافات الفرعية من شأنها أن تحدث اختلافات واضحة بين الأفراد ، فشخصية نجوم السينما تختلف عن شخصية العلماء الذين يكرسون حياتهم للعلم ، علي الرغم من انتمائهم جميعا لمجتمع واحد ، والثقافة كما نعرف هي أساساً نتاج إنساني للتعامل الاجتماعي بين أفراد مجتمع من المجتمعات وهي توفر أنماطا اجتماعية عامة مقبولة يستجيب الأفراد في ضوئها لحاجاتهم البيولوجية ، والاجتماعية ، كما أنها تنتقل من جيل إلي جيل في المجتمع وتتراكم نتيجة هذا الانتقال ، وهي محملة بالمعاني التي يعبر عنها الأفراد بلغتهم بما فيها من رموز ، ولذلك فهي ليست فطرية ، وإنما هي مكتسبة يكتسبها الفرد في سياق نموه وسط الجماعة ، ومن ثم فهي تؤثر في تكوين شخصية كل فرد ينمو وسط هذه الجماعة ، وتعتمد في وجودها واستمرارها علي استمرار المجتمع وإن كان هذا الوجود وهذا الاستمرار لا يتوقفان علي وجود فرد بعينه أو جماعة بعينها .

٢ــ الأسرة : ومن الأمور الأساسية في دراسة الشخصية معرفة الشيء الكثير ن الأسرة التي نشأ فيها الفرد ، والتي تعكس عليه ثقافة المجتمع الذي نشأ فيه وذلك قبل أن نفسر تفسيرا صحيحا لماذا كشف هذا الفرد عن هذه الخصائص أو هذه السمات المميزة له ، فأسرة الفرد تلعب دورا هاما وجوهريا في تشكيل شخصيته ، ويكون عالم الطفل في بداية الأمر قاصرا علي هذه التأثيرات الهامة الصادرة أساس في داخل الأسرة ، فهي التي تشكل بالتدريج شخصيته من خلال العديد من

الخبرات التي يتلقفها في هذه البيئة الصغيرة .. ولكن الطفل بدوره - ونتيجة للتفاعل المتبادل بينه وبين الأسرة - يظهر أثره في الأسرة ويعدل من نمط العلاقات القائمة داخلها .

وليست علاقات الطفل واحدة بجميع أفراد الأسرة ، فتأثير الأم لا يعادله تأثير آخر خصوصا خلال الفترة الأولي من حياة الطفل ، ثم يلي ذلك تأثير الأب والأخوة ثم الأشخاص الآخرون خارج نطاق الأسرة .

وليس ثمة نمط محدد من حيث علاقة الطفل بالوالدة أو الوالد أو الأخوة كما أن الخبرات الأساسية للطفل الأول تختلف عن الخبرات الأساسية للطفل الأخير ا، الطفل الوحيد ، وحثي بالنسبة للطفل الواحد يختلف نمط علاقاته بالآخرين باختلاف السن وغيره من العوامل ، فمع نمو الطفل يصبح تأثير جماعات الرفاق خارج الأسرة أكثر أهمية وبشكل متزايد وقد يفوق تأثير الآباء أحيانا ، فالأهمية النسبية لكل من الأم والأب والأخوة تختلف باختلاف محصلة النمو وباختلاف الجنس ( ذكر أو أنثي ) .

وليس من شك أيضا - علي نحو ما أوضح لنا فرويد - أن خبرات الطفولة يكون لها تأثير واضح علي شخصية الفرد بعد ذلك، بل أنه قد يكون من الصعب أحيانا أن نحدث تعديلا جوهريا علي بعض الخبرات ، فالطفل الذي يبدأ ينظر لنفسه علي ا،÷ غير مرغوب فيه أو منبوذ من أفراد الأسرة ، قد يجد صعوبة في تغيير نظرته لنفسه بعد ذلك حتى ولو مر بخبرات عديدة مغايرة حينما يكبر ، فالخبرة المبكرة تكون ذات تأثير

بارز أحيانا في نمو شخصية الفرد ، كما أن حدود ومحتوى هذه الخبرات يتحدد إلي درجة كبيرة عن طريق الأسرة .

وكل هذا يشير إلي أثر الأسرة في نمو شخصية الطفل وبخاصة أثر الأم في السنوات الأولي من حياته ، وهذا الأثر لا يمكن إخفاؤه بل أن آثاره تتضح بعد ذلك في سلوك الكبار

وعن طريق الأسرة يشبع الطفل حاجاته النفسية إذا أريد له أن ينمو نموا نفسيا سليما . وكما تعتبر التغذية ولظرف الصحة الملائمة أمرا ضروريا لنمو جسمي سليم فإن الخبرات النفسية المناسبة تعتبر أمراض ضروريا لنمو الشخصية السوية المتكيفة ، فالطفل يواجه في المنزل المواقف التي قد تؤدي إلي ظهور التوتر، كما أنه يتعلم فيه كيفية مواجهة هذه المواقف وأسلوب خفض هذا التوتر .

وللرعاية المعقولة التي ليس فيها إفراط أو تفريط أثر واضح في تنمية شخصية الطفل بصورة متوافقة ، أما الطفل الذي يلقي المزيد من التدليل أو الذي يلقي المزيد من الإهمال أو النبذ ، فإنه يكون أكثر تعرضا لمشاعر القلق وعدم الطمأنينة .

وطالما أن الطفل يحتاج إلي قدر معقول من الرعاية النفسية والبدنية من الوالدين ، فإن المنزل يعتبر في هذه الحالة أحد المحددات الهامة في نمو شخصية الطفل ، وتكون الأسرة في مركز رئسي يدعم أو يهدد مشعر الطفل بالطمأنينة فإذا كانت ظروف البيت من النوع الذي يدعم توافق شخصية الطفل بدرجة مناسبة ، فإن الطفل يسير في طريق النمو الصحيح ، أما إذا عجز المنزل عن أن يقدم للطفل الاستجابات الانفعالية

المناسبة والشعور بالأمن فسوف يتعرض الطفل إلي الكثير من مظاهر القلق والاضطراب النفسي ، ومن الممكن القول بأن الطفل الذي لم يتعلم الحب في المنزل ، يستحيل عليه أن يصدق الآخرين أو أن يثق فيهم ثقة تامة ، فهو قد أوذي وتعرض للألم ولا يريد أن تتكرر معه مثل هذه الخبرات المؤلمة فمن لدغ مرة يخاف العقارب بعد ذلك .

**أسلوب المعاملة ونمط الشخصية :**

أشار علماء النفس إلي أسلوب معاملة البيت والنمط المقابل له في شخصية الطفل وسلوكه فالنبذ كمنط من أساليب المعاملة الوالدية من شأنه أن يخلق شخصية عدوانية سيئة التوافق ، لديها مشاعر عدم الطمأنينة ، شخصية خائفة ضعيفة ، أما الرعاية الزائدة عن الحد ، فإنها تخلق شخصية أسلوبها طفلي ، انطوائية ليست لديها القدرة علي تحمل المسئولية ، تعاني من صعوبات التوافق ، وقد يؤدي سلوك الآباء المسيطرين إلي طبع شخصيات أبنائهم بطابع الخنوع ، فيكونون من النوع الأتكالي الخجولي ، أما الآباء المتقبلون لأبنائهم ، فقد يطبعون شخصيات أبنائهم بطابع التقبل الاجتماعي المتوافق ، الواثق في المستقبل .

وليس أدل علي أثر سلوك الوالدين في شخصية الأبناء مما نراه في أحيان كثيرة من أن الأبناء غير المتوافقين نفسيا يأتون من بيوت منهارة وبيوت يظهر فيها الصراع بين الأبوين ، وعندما يكون جو المنزل من النوع الذي يكثر فيه النزاع والشقاق ، فإن، الطفل غالبا ما يوزع ولاءه بين الأب والأم ، وفي معظم الأحيان ، لا يكون ثمة تعاون بين الآباء

فيما يتصل بالأمور الحيوية التي يجب تدريب لطفل عليها وقد يتعلم الطفل استغلال أحد الأبوين ضد الآخر أو قد يهملهما معا ، وفي أغلب الأحيان يكون الأبوان في حالة من التوتر الانفعالي تتسم معها التصرفات بالرعونة والحمق ويكون في أسلوب كل منهما مع الطفل جفاء وخشونة كما تكون طريقة حديثهما معه مقتضبة ، مثل هذا السلوك من جانب الأبوين من شأنه أن يخلق التوتر الانفعالي لدى الطفل ومن ثم يعق إحساسه بالأمن الذي هو حاجة أساسية لتكامل شخصية الفرد .

**ثالثا- محددات الدور :**

وهذا هو العامل الثالث من محددات الشخصية ، ولهذا العامل أهميته حيث أننا في دراستنا لفكرة الدور إنما نشير إلي كل من الفرد والمحيط الاجتماعي الذي يوجد فيه فمفهوم الدور يشير إلي أنه لفهم سلوك فرد ما يجب أن ننتبه إلي خصائص شخصيته وإلي الموقف الاجتماعي الذي يوجد فيه .

والدور هو بتعبير بسيط ما يتوقعه المجتمع من الفرد الذي يحتل مركزا معينا داخل الجماعة .

ويحدد كل مجتمع من المجتمعات الأدوار الاجتماعية التي يتوقع من أفراده القيام بها في حياتهم العادية ، لنأخذ علي سبيل المثال أسرة ما، الأب ينتظر منه أن يترك المنزل في الصباح لكي يذهب إلي عملة ليمد الأسرة بالمال الذي تحتاج إليه وإن يقوم برعاية الأطفال وتوجيههم والإشراف عليهم عندما يكون بالمنزل ، والأم ينتظر منها أن تقوم بدور آخر يتلخص في أداء الوجبات المنزلية ورعاية الصغار وإعداد الطعام

وتهيئة الجو العائلي الطيب ، أما الأولاد فدورهم يتلخص مثلا في طاعة الآباء وأداء واجباتهم المدرسية والابن الأكبر يتوقع منه أن يساعد أباه في رعاية إخوته الصغار والمسارعة في تحمل المسؤولية في الأسرة ، والولد الذكر يتوقع منه أن يقوم بدور الصبية العاديين ، بينما تعد الفتاة للقيام بدور الأنثى وتعلم أعمال البيت ، وهذا التفاعل المتبادل بين هذه الأدوار المختلفة وثيق للغاية ويكون ما نسميه باسم النظام الاجتماعي للأسرة ، والطفل عندما يتعلم القيام بدوره في الأسرة يتعلم في الوقت نفسه الأدوار التي يقوم بها الأب والأم والأخوة الكبار من حوله ، فأدوارهم متبادلة مع دوره ، وهم في نظره بمثابة نماذج يقوم بتقليدها ، وتحدث جميع هذه الأدوار أثرا هاما في عملية التنشئة الاجتماعية وفي التثقيف الذي يحتاج إليه في حياته بعد ذلك ، ومن الواضح أن للفرد الواحد مجموعة كبيرة من الأدوار في حياته الاجتماعية ، فالأب مثلا بعد خروجه من المنزل والذهاب إلي عمله يقوم بدوره كموظف أ، عامل أ، مهندس أو طبيب ، أي أنه يقوم بالدور الذي يتوقعه منه المجتمع في مجال العمل وهو حين يعود إلي بيته نجده يمارس دوره كأب من حيث الأشراف علي تربية الأبناء ورعاية الأسرة ، ثم بعد ذلك قد يكون عضوا في نادي ويشارك في ألوان النشاط المختلفة لهذا النادي أو قد يكون عضوا في جماعة دينية إلي آخر هذه الأدوار العديدة التي يقوم بها المجتمع ، وكذلك الأمر بالنسبة للام والأولاد ولأي فرد آخر في الحياة فحياة كل فرد يمكن النظر إليها علي أنها سلسلة من لأدوار المتتابعة التي تربط الفرد بمجموعة من النظم الاجتماعية المختلفة ، ولكن قد يحدث أحيانا صراع وتعارض بين هذه الأدوار المختلفة التي

بها في حياتنا ، وكثيرا ما نسمع عما يظهر من تعارض أحيانا في دور المرأة الموظفة ، أعني بين ما يتطلبه منها دورها كأم في رعاية الأطفال والأشراف علي تربيتهم ، وبين دورها كموظفة

ويحسن أن نميز بين لفظين يستخدمان أحيانا بمعنى واحد الأول هو المركز أو الوظيفة والثاني هو الدور فالمركز هو المكان الذي يختله أو يشغله الفرد في المجتمع علي أساس العمر أو الجنس أو الزواج ، بينما الدور هو السلوك الذي يقوم به الفرد في كل مركز اجتماعي يشغله ، وكل من المركز والدور نتاج اجتماعي ولا يوجد أحدهما بدون الآخر ، ويمكن أن نوضح العلاقة بينها علي النحو التالي :

من المعروف لنا جميعا أن المؤسسات أو المنظمات والجماعات يكون لها عادة مركز عديدة تساعده في مجموعها علي تحديد طبيعة هذه المؤسسة أو المنظمة أو الجماعة وتسيير العمل فيها بانتظام ، ويحتل الأفراد عادة هذه المراكز ، ونحن عندما نريد وصف مؤسسة ما فأننا نصفها عن طريق وصف المراكز التي أوجدتها لتحقيق أهداف هذه الجماعة ، فهناك رئيس مجلس الإدارة وهناك المدير ونائبه المدير والسكرتير والعامل .. الخ ومن الممكن القول بأن كل هؤلاء الأشخاص يحتلون مراكز معينة ولكن لا يمكن القول بأنهم يحتلون أدوارا معينة ، وهم في مراكزهم ، يحاول كل فرد منهم أن يقوم بالدور الذي يتوقع منه أو الدور الذي يراه متفقا والمركز الذي يشغله ، وقد يحتل شخص ما مركزا من المراكز ولكنه يفشل في القيام بالدور الذي يتطلبه منه هذا المركز أو الدور الذي يتوقعه الناس من شاغل هذا المركز ، فهو مثلا رئيس مجلس إدارة مؤسسة ما ، ولكنه لا يقوم بدوره كرئيس مجلس

إدارة علي نحو ما هو متوقع منه ، لنأخذ مثالا ثانيا أقرب إلي الناحية النفسية ، الابن الأكبر في الأسرة والذي يحتل مركز الولد الأكبر ، ينتظر منه أن يقوم بدوره كابن أكبر وأن يتحمل قدرا من المسئولية مع الآباء ، أما إذا كان سلوكه طفليا أو كان من النوع الاتكالي الذي لا يوفق في تحمل المسئوليات البسيطة التي تتطلبها الأسرة منه ، فمن الممكن القول بأنه غير قادر علي القيام بالدور الذي يتفق ومركزه في الأسرة ، وباختصار يمكن القول بأن المركز يرتبط ببناء جماعة ما أ، منظمة ما ، بينما الدور يرتبط بسلوك الشخص الذي يشغل مركزا ما .

وغني عن البيان أن الأدوار الاجتماعية التي يقوم بها الأفراد تختلف باختلاف الثقافات التي يحيون فيها ، فدور الولد في المجتمعات الحضرية المتقدمة يختلف عن دور الولد في المجتمعات الريفية ، فبنما لا يزال ينظر إلي الولد في سني الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة في المجتمعات الحضرية والمتقدمة علي أ،ه لا يزال صغيرا يقوم بدور الصغار في مثل سنه ويحتاج إلي قدر من رعاية الأسرة والوالدين له ، إذ بزميله الذي في مثل سنه في المجتمعات الريفية ينظر إليه علي أنه قد أصبح رجلا أو علي عتبة الرجولة وأنه قادر علي القيام بأدوار الكبار ، ولهذا يعهد إليه بالكثير من الأعمال التي يقوم بها الكبار في الأسرة من فلاحة الأرض ورعاية الحيوان في الحقل ، وكانت بعض الأسرة الريفية إلي عهد قريب تزوج أبناءها في مثل هذه السن المبكرة ، وفي هذا اعتراف واضح منها بأنه قد بلغ مبلغ الرجال ، والأمر بالمثل بالنسبة للفتاة .

رابعا ـ محدد الموقف

وأخيرا نأتي إلي المحدد الرابع من محددات الشخصية وهو محدد الموقف ، وما أكثر المواقف التي يمر الفرد بها في حياته ، وما أكثر تأثيرها في شخصيته وبالطبع ل يمكن النظر إلي الشخصية كما لو كانت مستقلة عن المواقف التي تمر بها أو توجد فيها ، فحتى العمليات البيولوجية أو الفسيولوجية تتطلب وجود أجهزة داخلية أو عوامل بيئية ومواقف تتحقق فيها ، فعملية التنفس مثلا تتضمن وجود رئتين داخليتين وفي الوقت نفسه تتطلب وجود هواء خارجي لازم لعملية التنفس ، وعملية الهضم هي الأخرى تتضمن وجود الإحساس الداخلي بالجوع وفي الوقت نفسه تتطلب وجود الطعام اللازم لإشباع هذا الدافع ، وبهذه العوامل الداخلية والخارجية معا يتم تحقيق السلوك ، وكما يقول الفيلسوف الأمريكي " جون ديوى" ( أن الأمانة والمحبة والشجاعة والبخل والكرم وعدم تحمل المسئولية أو تحملها ، ليست مملكات خاصة بالفرد ، بل هي توافقات أو تكيفات فعلية لقدرات الفرد مع قوة البيئة ، فليس ثمة شيء يمكن أن يعد ذاتيا أو شخصيا دون أن يكون في الوقت نفسه انعكاسا للبيئة المادية والاجتماعية والثقافية والمواقف التي يمر بها الفرد ).

وليس من شك أن سلوك الفرد قد يتعدل حسب ظروف الموقف الذي يوجد فيه ، وقد ذهب البعض إلي أن استجاباتنا لاختيارات المواقف أو الأسئلة التي توجه إلينا في مقابلة شخصية قد تختلف حسب ظروف الموقف ، فلو أن سؤالا مثل " هل تحب مخالطة الناس ؟ قد وجه لشخص متقدم لشغل وظيفة تتطلب منه مخالطة الآخرين وحسن التعامل معهم فقد يجيب بالإيجاب لا شيء إلا للحصول علي الوظيفة ، بينما قد يجيب بالنفي لو أن هذا السؤال نفسه قد وجهه إليه طبيب نفسي

يقوم بمعالجته ، لأن وجوده مع الآخرين قد يسبب له القلق والاضطراب ويجعله يحس بمشاعر النقص مثلا .

وهناك العديد من الأمثلة علي اختلاف السلوك باختلاف المواقف ، ويميل بعض الباحثين النظريين إلي أنه ليس هناك " ثبات داخلي في الشخصية " وأن كل شيء يتحدد بالموقف الذي يوجد فيه الفرد ، وقد ذهب هؤلاء إلي أنه لا معنى حتى لا جزاء الاختبارات الشخصية داخل الفصل أو داخل جدران المعمل مثلا ، لأنه ليس هناك ما ينبئ عما سيكون عليه سلوك هذا الفرد خارج الفصل أو خارج المعمل أو في مواقف جديدة غير متوقعة ، فالفرد نفسه لا يعرف ما إذا كان سيسلك بشجاعة أم ستخونه شجاعته ، هل سيتحمل مسؤوليات جديدة أم سوف لا يقوى علي تحمل المسئوليات ومن هنا يعطي هؤلاء اهتماما كبيرا للمواقف المختلفة التي يوجد فيها الفرد داخل ولسنا في حاجة إلي القول بأن مثل هذه الآراء - ولو أنها تحوة جانبا من الصحة إلا أنها لا تحوى الحقيقة كلها ، فاختبارات الشخصية التي تجرى داخل جدران الفصل أو في العيادات النفسية مثلا تكشف عن قدر من الثبات في الشخصية ينعكس أثره في سلوك الفرد في مواقف أخرى في الحياة الخارجية أو في المواقف الجديدة التي يمر بها .

تلك هي المحددات الأربعة للشخصية وهي المحددات التكوينية ومحددات عضوية الجماعة ومحددات كل من الدور والموقف .

المحددات خارج الأسرة :

ومن الملاحظ أن معظم علماء النفس الذين اهتموا بدراسة محددات الشخصية قد ركزوا اهتمامهم علي الفرد والمحددات البيئية داخل نطاق الأسرة ، غير أن هناك عوامل أخرى كثيرة خارج الأسرة تسهم بدور فعال في تحديد خصائص الشخصية ، وهذه العوامل تتفاعل بدورها مع غيرها من المحددات ، ويمكن أن نشير بإيجاز إلي ثلاثة من هذه العوامل التي تلعب دورا هاما في تشكيل شخصية الطفل وتسهم بدور فعال مع الأسرة في القيام بهذه المهمة وهذه العوامل هي :

١ـ المدرسة والمدرس .

٢ـ جماعة الرفاق أو الشلة .

٣ـ وسائل الإعلام المختلفة .

١ـ المدرسة والمدرس :

والمدرسة هي البيئة الثانية ذات التأثير في الطفل بعد الأسرة وتهتم الدول الحديثة اليوم أن يمر كل طفل منها علي الأقل بمرحلة الإلزام حتى يتلقى الحد الأساسي من المعرفة الذي يجب أن يتلقاه كل مواطن ، ولكن تأثير المدرسة لا يقف عند حد مرحلة الإلزام بل يستمر بعدها إلي المرحلة الإعدادية والثانوية والجامعية .

وهناك مجموعة كبيرة من العوامل تؤثر تأثيرا كبيرا في نجاح الطفل في هذه البيئة الثانية ، ولعل أهمها الذكاء والقدرة اللغوية وتفاعل التلميذ مع الآخرين وإحساسه بالنجاح أو الفشل ، فالذكاء ، وهو القدرة العقلية العامة يساعد الطفل علي حسن التكيف ومسايرة المستوى التعليمي المطلوب كما يساعد علي تنمية شخصيته في ضوء تفاعله



obeikandl.com

الناجح مع هذه البيئة المدرسية ، ومن الواضح أن التلميذ الغبي ومن هو دون المتوسط في الذكاء قد يجد صعوبة في التكيف مع هذه البيئة المدرسية ، ولهذا فهو يحتاج في الأغلب إلي تعليم من نوع خاص وإلي وسائل إضافية معينة علي التدريس ، وبالإضافة إلي الذكاء فإن القدرة اللغوية تعد وسيلة أساسية للتفاهم بين التلميذ ومدرسية وزملائه ، كما أنها الوسيلة الأساسية لنقل الثقافة والخبرة ، فالكلمات هي أدوات نقل المعرفة وعن طريقها يحاول المدرس أن ينمي أنماط السلوك المرغوب فيه لدي الطفل ، وبالإضافة إلي ما تقدم من عوامل هناك التفاعل مع الآخرين ومدى مشاركة التلميذ في النشاط داخل الفصل وخارجه وإحساسه بالكفاية نتيجة النجاح في الدراسة ، ومن المعروف أن النجاح يولد النجاح ، أما الفشل فقد يشعره بالنقص وقد يدفع إلي اتخاذ أساليب دفاعية أخرى أو أن يسلك سلوكه جامحا أحيانا .

وشخصية المدرس من العوامل الهامة ذات التأثير البالغ في شخصية التلميذ داخل الفصل وخارجه فهو الشخص الثاني الهام بعد الأب الذي يكون له تأثير فعال عند الطفل ، ويتفق الجميع تقريبا علي قبول فكرة أن المدرس بسلوكه يعتبر نموذجا يحتذ به الطفل ، ولذا قد يتعرض المدرس للنقد من جانب الآباء إذا انحرف في سلوكه عن المعايير الدقيقة التي يجب أن يتحلى بها أو يجب أن يكون عليها في نظر " الآباء والمجتمع .

٢ ـ جماعات الرفاق :

ومع نمو الطفل اجتماعيا تتسع دائرة اتصالاته ، فيخرج من نطاق الأسرة واللعب داخل المنزل مع أخونة ، إلي جماعات الأصدقاء والرفاق خارج المنزل، ويوجه الآباء اهتماما كبيرا إلي أصدقاء أبنائهم وزملائهم في اللعب نظرا لما لهؤلاء من تأثير ملحوظ في سلوك الأبناء، وتقتصر صداقات الطفل في مرحلة ما قبل المدرسة علي جيرانه ممن هم في مثل سنه ، وقد يصبح الأولاد في هذه المرحلة تحت الأشراف المباشر للآباء ولكن حينما يدخل الطفل المدرسة الابتدائية يقل الإشراف المباشر للآباء وتزداد فرص تأثر الطفل برفاق بشكل أكبر .

وتدور علاقات الطفل في المدرسة الابتدائية مع الآخرين حول قطبين : مدرسيه وزملاء فصله وهو وأن تأثر كثيرا بمدرسه ، إلا أنه ينظر إليه عادة علي أنه شخص كبير يخافه ويرهبه ، أما زملاء الفصل فهم شيء أخر بالنسبة له وارتباطه بهم يختلف عن ارتباطه بمدرسه ، وإذا كان تأثير المدرس يظل ساعات خلال اليوم المدرسي أو خلال العام الدراسي فتأثير الزملاء قد يستمر طويلا حيث ينتقل الأطفال في الأغلب معا من سنة إلي أخرى ويستمر اتصالهم ببعض سنوات عديدة .

وليس من شك أن تأثير الشلة في بعض الأحيان يكون أقوى م تأثير الكبار أو الوالدين علي الطفل ، فلو حدث صراع مثلا بين معايير الكبار ومعايير الشلة، فإن الطفل أو المراهق يكون أميل إلي مسايرة معايير الشلة ، وقد ينظر إلي ذلك علي أنه توكيد لاستقلاله في النمو عن الوالدين ولكن يمكن النظر إليه أيضا باعتباره ارتباطا بالشلة حتى لا يشعر بالعزلة عن الجماعة التي ينتمي إليها .

إذن الخلاصة مما سبق :

إنه لكي يتم التكيف مع تحديثات هذا القرن الحادي والعشرين لابد أن نعد الإنسان العصري الذي يستطيع أن يواجه هذه التحديات ولن يكون كذلك إلا ببنائه البناء النفسي الجيد وذلك من خلال علم النفس الحياتي :

فهل حان الوقت للاعتماد والاستفادة من علم النفس الحياتي حتى نحقق السعادة في الدنيا والآخرة ؟

تساؤل يحتاج إلى إجابة من الأسرة والمجتمع .

مع تحيات
مؤلف هذا الكتاب
**دكتور إبراهيم محمد المغازي**
**قسم علم النفس – جامعة بور سعيد**
**سندسيس – المحلة الكبرى – الغربية**

obeikandl.com